

تفسير ابن كثير

* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ

يقول تعالى : ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) فنزلنا عليهم الملائكة ، أي : تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل ، كما سألو فقالوا : (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) [الإسراء : 92] (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) [الأنعام : 124] ، (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) [الفرقان : 21] .
وكلمهم الموتى) أي : فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل ، (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) - قرأ بعضهم : " قبلاً " بكسر القاف وفتح الباء ، من المقابلة ، والمعينة . وقرأ آخرون وقبلاً بضمهما قيل : معناه من المقابلة والمعينة أيضا ، كما رواه علي بن أبي طلحة ، والعمري ، عن ابن عباس . وبه قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال مجاهد ، (قبلاً) أفواجا ، قبلاً قبلاً أي : تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فتخبرهم بصدق الرسل

فيما جاء وهم به (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) أي : إن الهداية إليه ، لا إليهم . بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته ، وسلطانه وقهره وغلبته . وهذه الآية كقوله تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [يونس : 96 ، 97] .